الفصل الرابع

منهج ابن مسعود رضي الله عنه في التفسير

آثرت عدة عوامل في تكوين شخصية ابن مسعود رضي الله عنه وضلوعه في تفسير كتاب الله ، منها: انتسابه إلىٰ قبيلة هذيل العربية الفصيحة ، ومنها ملازمته لرسول الله ﷺ ، حيث عايش أسباب نزول الآيات ، وسمع الكثير من الرسول ، ولذلك ورد عنه قوله: والذي لا إله غيره ، ما من كتاب الله سورة إلا وأنا أعلم حيث نزلت ، وما من آية إلا أنا أعلم فيما أنزلت ، ولو أعلم أحداً هو أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لركبت إليه!!(١).

وتميّز منهجه التفسيري بأنه يقدّم تفسير القرآن بالقرآن عن غيره ، فإن لم يجد ، فسّر القرآن بالسنة النبوية ، فإن لم يجد فسّر القرآن على ضوء مبادئ الإسلام ، ومن الأمثلة علىٰ ذلك:

١٧ـ في قول الله تعالىٰ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾(٢).

قال المخارق: قال عبد الله بن مسعود: إن المؤمن إذا مات أُجلس في قبره ، فيُقال له: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ فيثبته الله ، فيقول: ربي الله ، وديني الإسلام ، ونبيي محمد ﷺ(٣).

---

(١) صحيح مسلم: ٧/١٤٨.

(٢) إبراهيم: ٢٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٢/٥٣٢.

١٨ـ وفي تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ﴾[١].

قال ابن مسعود: هذا يوم بدر، نظرنا إلىٰ المشركين فرأيناهم يضعفون علينا، ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلاً واحداً، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ ﴾[٢][٣].

١٩ـ وفي تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم ﴾[٤].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: علىٰ قدر أعمالهم يمرّون علىٰ الصراط: منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، ومنهم من نوره مثل الجمل القائم، وأدناهم نوراً من نوره في إبهامه يتّقد مرة ويطفأ أخرى[٥].

٢٠ـ وفي قوله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴾[٦].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: يحبس الأول علىٰ الآخر، حتىٰ إذا تكاملت العدّة أتاهم جميعاً، ثم بدأ بالأكابر، فالأكابر جرماً...[٧].

* * *

(١) آل عمران: ١٣.
(٢) الأنفال: ٤٤.
(٣) جامع البيان للطبري: ٣/ ١٣٠.
(٤) الحديد: ١٢.
(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤/ ٣٠٨.
(٦) مريم: ٦٩.
(٧) تفسير القرآن العظيم: ٣/ ١٣١.